



تتعرض روسيا لضغوط متنوعة، يرجع بعضها إلى ما أصابها من غروب، بعد نجاح حملتها الجوية في رفع الضغوط عن الأسد، وإعادة جزء كبير من الجغرافيا السورية إليه، واستدراج فصائل إلى مسار إرادته موازياً ثم بديلاً لمسار جنيف، هو مسار أستانة الذي أقنعهم بأنه يضع جميع خيوط الأطراف السورية في أيديهم، ويهمنش الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية وهيئة التفاوض العليا، ويقيد صلاحياتهما بفضل "منصاتٍ" يمكن أن تخترقهما وتقدم تمثيلاً موازياً، ثم بديلاً لهما، يتبنى خطأً في الحرب والسلم قريباً من خط روسيا. وقد بلغ الغرور الروسي حدّاً تسبب في توريط ساستها بما واجهه مقترحها هذا من مصاعب أحبطت عقد مؤتمر "شعوب" سوريا في قاعدة حميميم التي تتصف السوريين بدوام كامل نهاري/ ليلي، ثم في مطار دمشق الدولي، وأخيراً في سوتشي على البحر الأسود، حيث غدا المؤتمر "وطنياً سورياً"، سيدعى إليه نحو 1500 شخص. وحين قاطعه الائتلاف والهيئة العليا وحزب الشعب، وانضمت إليهم هيئة التنسيق، ومجموعات أخرى بينها اتحاد القبائل والعشائر السورية وفصائل عسكرية أستانية وشخصيات وطنية عديدة، أعلنا أنهم لم يحدّدوا موعده الذي كان مقرراً يوم 18 نوفمبر/ تشرين الثاني الجاري، في نص دعوتهم الموجهة إلى 33 فصيلاً ومنظمة حزبية وسياسية.

يبدو أن نجاحات موسكو أقنعتها بأنه لن يوجد في سوريا من يرفض أو يستطيع أن يرفض لها طلباً، وأن خيوط اللعبة التي في أيديها همشت خصومها وشلتهم، ما يفسر دعوة "شعوب" سوريا إلى مؤتمرٍ يعقد في قاعدة عسكرية تحتل الساحل السوري، لبلورة تصورٍ يعتمد مجلس الأمن الدولي حلاً نهائياً، فلا يبقى جنيف ولا من يتفاوضون، ولا قرارات دولية ولا من يقرّون. فشلت هذه الخطوة، لكن فشلها لم يقنعهم بأنهم ليسوا في مستوىً يمكنهم من ممارسة سياسة: نحن نقرر وأنتم

ليس هذا الفشل الذي يعتبره كثيرون عابراً أهمل ما واجهته موسكو من تطوراتٍ في الأسابيع الماضية، فقد أعلنت واشنطن خطوتين، يحول التزامها بهما دون انفراد الكرملين بالحل: الامتناع عن إعادة إعمار سوريا بوجود الأسد، وبقاء وحداتها العسكرية في سوريا إلى أن يتحقق حل سياسي، يتفق مع فهمها للسلام، في إشارة صريحة إلى أنها قررت منح نفسها صلاحياتٍ تضع حدوداً للدور الروسي في سوريا، من خلال رفض تمويل إعادة الإعمار، وإبقاء وجودها العسكري في سوريا، فالامتناع يرمي إلى منع إعادة إعمار سوريا ما دام بشار الأسد رئيسها. لذلك، تزيد واشنطن وضع روسيا أمام مهمةٍ تتخطى قدراتها الاقتصادية، ودفعها إلى التفاهم معها على حلٍ يحد من وجود إيران العسكري/الأمني في سوريا، بدءاً من الجنوب، حيث توصلت الدولتان إلى اتفاقٍ يقول بـ"خفض"، وفي نهاية المطاف "سحب القوات الأجنبية والمقاتلين الأجانب" من منطقة درعا والسويداء والجولان، لكن موسكو وجدت نفسها أمام عجزها عن مطالبة إيران بسحب قواتها ومرتزقتها من المنطقة. لذلك زعمت أن هذه القوات دخلت البلاد بطلبٍ من حكومتها الشرعية.

ليس صحيحاً، كما تؤكد بعض الأقوال، أن "الشغلة حالصة" بين واشنطن وموسكو في سوريا. الصحيح أنه بقدر ما نقترب من الحل السياسي سيكون هناك تراجع في أدوار الأطراف الداخلية والإقليمية لصالح الجبارين، وبروز مشكلات روسية/إيرانية بشأن الجهة التي ستتفوز بالموقع الأول في سوريا، وخلافات أميركية/روسية تشير إلى هويتها، العقبتان اللتان تضعهما أميركا في طريق الجهود الروسية التي تكشف نشاطها ردّاً على تزايد الانخراط الأميركي المتتسارع والمباشر في قضايا السلام، لتفادى ما قد يجبرها على البحث عن حلٍ يغلب مصالح أميركا وأهدافها.

ليس وضع روسيا مريحاً، بما أن مواجهة واشنطن سترغمها على مراضاة إيران وتركيا، لکسبهما إلى جانبها في تجانباتها مع واشنطن، بينما يعقد الأسد اتفاقية عسكرية مع طهران، يأمل أن تساعده على الحد من ضعفه حيال الكرملين، ويعلن ولائي مستشار المرشد الإيراني، من دمشق، أن قواتهما ستحتل الرقة، المحمية أميركياً، وإدلب منطقة تركية بامتياز، تأكيداً لرفضهما تسهيل الحل السياسي الذي لن ينجز من دون تنازلات روسية متصاعدة لهما.

لسنا أمام حل دولي توفرت مقوماته، نحن أمام وهم روسي يتصور أن الحل قرار يتخذه بوتين، وينصاع له الآخرون.

المصادر:

العربي الجديد